التدريس والبحث في تاريخ الأردن وآثاره في العصرين البرونزي والحديدي (نحو 3600 – 332 قبل الميلاد)

*زيدان كفافي**

https://doi.org/10.35516/jjha.v17i3.684

ملخص

تاريخ الأمم هو هُوِيَّتُها السياسية والثقافية، لكن هذا التاريخ المدوَّن، الذي بدأ مع معرفة الكتابة في بلاد المشرق في نحو 3200 قبل الميلاد واستمر حتى الوقت الحاضر، شهد صعودًا وهبوطًا في حضارات الأمم. وما يهمنا في هذا البحث هو تسليط الضَّوء على فترة مهمة من تاريخ الأردن القديم؛ أي فترات العصور البرونزية والحديدية (نحو 3600–332 قبل الميلاد)، التي يربطها الباحثون اللاهوتيون والتوراتيون بالقصة التوراتية، بدءًا من خروجهم من مصر ودخولهم فلسطين وتأسيس دولة لهم؛ لذا فإنه من المهم أن نسلط الضَّوء على من قام ويقوم على تدوينه والمناهج المتبعة في كتابته، وتفسير الآثار والكتابات القديمة ذات العلاقة بهذا التاريخ. كما رأينا أن من الضرورة بمكان أن نبين الدور الأردني في دراسة تاريخ الأردن القديم من خلال الجامعات الأردنية التي تدرس التاريخ والآثار، أو العلوم ذات العلاقة. لقد أولت الأردن، ومنذ تأسيس الإمارة في عام 1921 ميلادية، الآثار أهمية كبرى؛ حيث أُسِّسَت دائرةٌ للآثار العامة بقيت تحت سيطرة الانتداب حتى تعريب الجيش عام 1956م. كذلك وفي السنة نفسها التي تأسست فيها الجامعة الأردنية (1962م) جرى تأسيس قسم للتاريخ والآثار، وأرسلت الجامعة مبعوثين في التاريخ القديم، وهكذا فعلت بعض الجامعات الأردنية الأخرى. لكن وللأسف شهدت السنوات الأخيرة تراجعًا في البحث والتدريس في العصور البرونزية والحديدية؛ إذ تقاعد عدد من أعضاء هيئة التدريس في هذا المجال المعرفي، كما أن الجامعات إمّا أحجمت عن الإيفاد أو أنها توقفت عن تعيين أعضاء جُدد. فضلًا عن أن العلوم الفرعية ذات العلاقة بالآثار قد طغت على الأصل، أملًا عند الطلبة في الحصول على وظيفة نتيجة لاكتظاظ السوق بخريجي الآثار. وحتى يستقيم الأمر لا بد من إنشاء مركز أو مراكز بحثية تقوم على البحث والنشر العلمي في تاريخ الأردن القديم، تتبع منهجًا موحَّدًا يقوم على الدليل العلمي.

الكلمات الدالة: لأردن، تاريخ قديم، العصر الحديدي، العصر البرونزي، المستكشفون، الرَّحالة، الجامعات الأردنية.

مقدمة:

حالُ التاريخ كحالِ العلوم الأخرى، فهناك التاريخ العام الذي يقسمه الباحثون لفترات فرعية عدة، هي: فترة ما قبل التدوين، ويطلق عليها "عصور ما قبل التاريخ"، التي تبدأ من معرفة الإنسان لصناعة أدواته من الحجر وحتى معرفته للكتابة (من نحو مليون ونصف وحتى 3200 قبل الميلاد)، والعصور القديمة وتشمل الفترة بين نحو 3200 وحتى

* باحث في الآثار والتاريخ القديم، رئيس جامعة اليرموك الأسبق .

تاريخ الاستلام: 2022/11/25، تاريخ القبول: 2023/3/27.

©2023م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

احتلال الإسكندر المكدوني لشرقي البحر المتوسط في نحو 333 قبل الميلاد، وتشمل الفترة اللاحقة فترتي الاحتلال اليوناني والرومي التي استمرت من نحو 333 قبل الميلاد إلى 324 ميلادية؛ أي حتى اعتراف قسطنطين الأكبر بالديانة المسيحية دينًا رسميًّا للدولة الرومية ومن ثَمَّ نقل عاصمته إلى القسطنطينية (بيزنطة)، وتعرف عند الباحثين باسم "العصور الكلاسيكية". وأطلق دارسوا بلاد المشرق على الفترة الممتدة من 324 إلى الفتح الإسلامي؛ أي حين انتصار المسلمون في معركة اليرموك في عام 636 ميلادية، اسم "العصر البيزنطي". أما الفترات التي تلت الفتح الإسلامي فيطلق عليها اسم "العصور الإسلامية "، لكن بفترات فرعية متعددة (صدر الإسلام، الأموية، العباسية ...) (كفافي 2004: 145).

ما يهمنا في هذا المقام كتابة التاريخ القديم لبلاد شرقي البحر المتوسط ومصر، الذي يشمل الفترة بين نحو 3200 وحتى 332 قبل الميلاد؛ لأنها تعرضت إلى كثير من التحوير والتبديل عند بعض الكُتّاب الغربيين اللاهوتيين والتوراتيين خاصَّةً، كما أنهم حاولوا تطويع المخلَّفات والكتابات والنقوش الأثرية لتتناسب والنصوص التوراتية في كثير من الحالات، بل إنهم أخضعوا المصادر والمراجع والمكتشفات الأثرية لخدمة السياسة، خاصة بعد المأسسة؛ أي بعد إنشاء المدارس والمعاهد الأثرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ويحار الدارس والباحث، فإن كان هذا هو الهدف الأساس لكثير من الباحثين الغربيين، ألا وهو إثبات صحة النصوص التوراتية، فأين دور الباحثين العرب بشكل عام، والأردنيين بشكل خاص؟ كذلك إذا كنا نعلم أن الهدف من الحفريات الأثرية هو الحصول على إثباتات مادية تقول إن أصحاب الديانة اليهودية كانوا هم أصحاب الأرض، فلماذا نسمح لهم باستباحة مواقعنا الأثرية والنبش بها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، لا بد من الاعتراف أننا كعرب لم نملك الحكم على أرضنا، فبعد الفترة العباسية الثانية انتهى الحكم العربي إلى زوال، وحتى بعد الحرب العالمية الأولى التي أنهت السيطرة العثمانية على المشرق العربي، التي حلم العرب بعد انزياحها أنهم سيحكمون أنفسهم بأنفسهم، جاءت سايكس – بيكو لتقسّم البلاد والعباد. بل إن الباحث يرى أن النشاطات الأثرية الميدانية بعد عام 1920 ميلادية تضاعفت أضعاف ما كانت عليه الحال في سابقاتها من الأزمان. ليس هذا فقط؛ فقد اخترع الغربيون مصطلحات وأزمان للتتوائم والقصة التوراتية، مثل، الفترات ما قبل الإسرائيلية، والإسرائيلية، واليهودية (Albright 1971: 30). علمًا أن دارس فترات تاريخ الشرق الأدنى القديم بمصادره الأثرية والكتابية يرى عدم صحة ما اخترعه التوراتيون من مسميات؛ إذ إنه من المعلوم أن منطقة بلاد الشام بشكل خاص كانت على الدوام معبرًا لكثير من الأقوام والأجناس والأديان، فلم يقطنها عرقٌ واحد، حتى إنها لم تشهد وحدة سياسية؛ أي لم يكن لها عاصمة مركزية في العصور القديمة، فكيف نطلق على مجموعها مصطلحات وتسميات عامة وموحدة.

أما في ما يتعلق بالديانة اليهودية واليهود في التاريخ القديم أي بعد خروج بني إسرائيل من مصر في نحو 1200 قبل الميلاد (تاريخ غير متفق عليه)، فنجزم أن قوم موسى لا علاقة لهم من ناحية العرق أو الجنس مع اليهود الصهاينة الجُدد ولا يربط بينهم إلاّ الديانة. ومن هنا، فإننا نرى أنه يجب الفصل بين تاريخ يهود أتباع موسى الذين نعدهم مكوّنًا بشريًّا من مكوّنات المشرق ولا علاقة لهم بالصهيونية العالمية الاستعمارية المعاصرة. كما نود تأكيد أن طبيعة العلاقة بين المشرق والمغرب لم تكن عدائية طوال الدهر، بل كانت في أغلب الأحوال سلمية، فكان هناك تبادل تجاري منذ الألف الثالث قبل الميلاد، كما سَنُفَصِّلُ في أدناه.

العلاقة بين المشرق العربي والغرب في العصور القديمة:

كان المشرق على تواصل دائم مع أوروبا حتى منذ عصور ما قبل التاريخ، لكن العلاقات تأطرت بين المنطقتين خلال العصور التاريخية، خاصة عن طريق التجارة (Ben-Shlomo; Nadarou and Rutter 2011; Lambrou-Phillipson 1990) وخير شاهدٍ على هذا اكتشاف سفينة غارقة في موقع أولو بورون (Ulu Burun) بالقرب من كاش (Kaş) على السواحل التركية وهي محملة بالبضائع الشامية ومتوجهة إلى بحر إيجة (Bass 1986: 269). ولقد عُثِرَ في عدد من المواقع الأردنية على بضائع، خاصة الأواني الفخارية، المستوردة من مايسينيا وقبرص خلال فترة العصور البرونزية المتأخِّرة (نحو 1550 – 1200 قبل الميلاد) (Kafafi Forthcoming). لكن ضعفت هذه العلاقة نتيجة لعدة عوامل أهمها القحط الذي عمَّ بلاد مايسينيا؛ مما أجبر أهلَها على الهجرة منها فقدمت مجموعة من قبائل شعوب البحر واستوطنت على سواحل البحر المتوسط الجنوبية. وكذلك وعلى الرغم من ظهور الممالك المحلية في بلاد الشام بعد سقوط الإمبراطوريات الفرعونية والحثية والكاشية في نحو 1200 قبل الميلاد، سقطت بلاد الشام مرة أخرى تحت السيطرة الأجنبية ودفعت هذه الممالك المحلية الإتاوة لكل من الآشوريين والبابليين الجُدد والفرس (أي من نحو 1200 – 332 قبل الميلاد). لكن الأمر اختلف بعد احتلال البلاد من قبل الإسكندر المكدوني، الذي لم يكن محتلًّا فقط، بل أنشأ المدن على الطراز اليوناني، وبنى المعابد، وسادت اللغة اليونانية واللاتينية من بعدها؛ أي جلب معه حضارة غربية سادت على الحضارة الشرقية الأصلية. وتدلنا الأحداث التاريخية التي حصلت في المشرق العربي بعد الاحتلال اليوناني لها على أنها شهدت ثلاثة مفاصل تاريخية يمكن وصفها بأنها انقلابات حضارية وثقافية واجتماعية واقتصادية، هي:

المرحلة الأولى: سيطرت الحضارة الغربية على الشرقية من خلال:

1. إحلال عناصر ومقومات الحضارة اليونانية – الرومية مكان الشرقية في المؤسسات الرسمية والمدن خاصة.
2. سيطرة اليونان بقدوم الإسكندر المكدوني في نحو 332 قبل الميلاد عسكريًّا على بلاد الشام، وانقسام أهل المنطقة بين مناصر لليونان ومن بعدهم الروم (الغساسنة) وآخرون تابعون وخاضعون لفارس (المناذرة).
3. حلّ حكم الروم على المنطقة ابتداء من سنة 63 قبل الميلاد وحتى 324 ميلادية. وهذه تعد استمرارية للحضارة الغربية اليونانية على الشرقية.
4. على الرغم من بقاء اللغات الآرامية والنبطية والتدمرية هي المتداولة بين الناس إلاّ أن اللغة اليونانية، وتبعتها اللاتينية أصبحت اللغة الرسمية في بلاد الشام ومتداوله في مدن الديكابوليس.

المرحلة الثانية: ظهور الديانة المسيحية والتحول الديني من وثني إلى مسيحي:

- علمًا أن المسيح ولد في مدينة بيت لحم في فلسطين وترعرع في مدينة الناصرة، وانتشر تلاميذه فوق مناطق بلاد الشام، وآثارهم وكتاباتهم في الأردن وفلسطين تدل عليهم.
- واجه المسيحيون مقاومة عنيفة من الوثنيين الروم، إلا أن اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالديانة المسيحية دينًا رسميًّا للدولة سنة 324 ميلادية، نتج عنه تجيير هذا الدين لحساب الحضارة الغربية على حساب الشرقية؛ أي أن السياسة هي التي سلبت الشرق هذا المنقلب الديني والحضاري المهم.
- على الرغم من هذه السيطرة بقيت هناك ممالك عربية محلية لها حضارتها ولغتها الخاصة بها في المنطقة لكنها خاضعة للقوة العسكرية الرومية، مثل المملكتين النبطية والتدمرية.

- قاومت هذه الممالك العربية هذه السيطرة الرومية في أكثر من مكان، فكانت هناك الثورات المحلية مثل تلك التي حدثت في فلسطين.

المرحلة الثالثة: ظهور الإسلام وسيطرة المسلمين على المنطقة في عام 636 ميلادية:

- سيطرت الحضارة الغربية على الشرقية لمدة تقارب من الألف عام.
- عادت إلى المنطقة نتيجة للفتوحات الإسلامية شخصيتها الشرقية، بغض النظر عن الديانة.
- لم يلغ الإسلام الديانتين اليهودية والمسيحية، بل حافظ على أتباعهما، شريطة دفع الجزية مقابل الحماية.

ويعترف بهذا سيلاه ميريل؛ إذ يذكر على الصفحة 65 من تقريره بأن بعض الرحالة (وادينغتون) الذين زاروا منطقة بلاد الشام، خاصة حوران، سجلوا وجود نقوش وكتابات تعود لسنة 633 ميلادية، و665 ميلادية؛ أي قبل معركة اليرموك وبعدها بقليل تثبت أن العديد من المسيحيين ما زالوا يعيشون في المنطقة وأنهم حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم.

وحيث إن دراسة تاريخ الأردن في العصور القديمة قد بدأت ولا تزال على أيدي مجموعة من الباحثين الغربيين، وجدنا أنه لا مندوحة لنا من استعراض دور هؤلاء في كتابة هذا التاريخ.

مستكشفون ورحالة غربيون في بلادنا:

انتشر الإسلام نتيجة للفتوحات الإسلامية فوق مناطق واسعة امتدت من أواسط آسيا في الشرق إلى المحيط الأطلسي في الغرب، وأخذ الدين الإسلامي يحل محل الديانتين المسيحية واليهودية في كثير من البلدان المفتوحة. كما أن الحضارة والثقافة الإسلامية أخذت تسيطر وتنتشر بين الناس في الدول الإسلامية. برأينا أن هذا الأمر أدى إلى بدء صراع ديني، خاصة بين أتباع الديانات السماوية الثلاث للسيطرة على العالم القديم، أدى في مرحلة لاحقة إلى انقلاب من بعض المناطق المفتوحة على الخلافة الإسلامية. ففي عام 1258 ميلادية تعرضت بغداد عاصمة الخلافة العباسية الإسلامية للتدمير من قبل المغول، ففر آخر الخلفاء إلى مصر، واستمرت الخلافة العباسية قائمة في مصر حتى احتلها العثمانيون في عام 1519 ميلادي. كما شهدت بلاد الشام في الفترة بين 1096 و1291 ميلادية عددًا من حملات الفرنجة التي شهدت سقوط البلاد المقدسة بيد الأوروبيين حتى استطاع صلاح الدين الأيوبي الانتصار عليهم في معركة حطين عام 1187 ميلادية، فحكم الأيوبيون جنوبي بلاد الشام حتى استطاع المماليك احتلالها منهم في عام 1250 ميلادية، وخضعت بلاد الشام للسيطرة المملوكية حتى عام 1516 ميلادية حين انتصر العثمانيون عليهم في معركة مرج دابق بالقرب من حلب، وبقيت البلاد والعباد تحت الحكم العثماني حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى في عام 1917 ميلادية. هذا كان حال البلاد باختصار شديد بعد سقوط دولة الخلافة العباسية في بغداد.

بعد انتهاء حروب الفرنجة وخروجهم من البلاد وعودة الحكم الإسلامي للمنطقة لم ينقطع الأوروبيون عن تواصلهم مع الأرض المقدسة، وذلك بإرسال عدد من الرحالة والمستكشفين للمنطقة. وكانت هذه الزيارات تتم في بداية الأمر بشكل فردي، تطورت لاحقًا لتصبح على شكل فرق استكشافية مكونة من مجموعة من العلماء، مثال ذلك رحلة كارستن نيبور، التي موّلت من دول ومؤسسات دنماركية ونمساوية. وَكُنّا قد قدَّمنا في دراسة رأيَنا حول الرحالة والمستكشفين الأجانب الذين ارتحلوا إلى الأردن وقدَّموا تقارير حول البلاد والعباد لمؤسساتهم (كفافي 2022: 141–142).

قد يسأل الإنسان العربي نفسه: ما الأهداف والدوافع وراء الزيارات والرحلات الاستكشافية التي قام بها الغربيون لبلادنا، هل هي دينية بحتة، أم اقتصادية، أم سياسية، أم معرفية أم غيرها؟ ونستطيع القول إنه يمكننا الإجابة عن هذا

التساؤل من خلال التقارير التي نشرها هؤلاء الرحالة ومن بعدهم الباحثون والدارسون الأوروبيون والأمريكيون لهذه المنطقة. فمثلًا من يقرأ ترجمة كتاب أ. ل. شاتليه الصادرة عام 2020 والمعنونة بِـ (الغارة على العالم الاسلامي) يستطيع معرفة أن الهدف الأساس كان تبشيريًا دينيًا، والنبش في ماضٍ تليد، إضافة إلى الأهداف الأخرى التي نوجزها في أدناه:

1. البحث عن التاريخ الماضي (الحنين إلى الماضي) حين خضع المشرق (*Orient*) لحكم المغرب (*Occident*)؛ إذ إن الحضارة الغربية سيطرت على المشرق العربي لمدة تقارب الألف عام؛ أي منذ احتلال اليونان للمنطقة على يد الإسكندر المكدوني في عام 332 قبل الميلاد وحتى انتصار المسلمين في معركة اليرموك في عام 636 ميلادية وقول إمبراطور بيزنطة هرقل "وداعًا يا سوريا، وداعًا لا لقاء بعده".

2. أسباب دينية: خلال منتصف القرن التاسع عشر للميلاد تعرضت النصوص التوراتية إلى نقد عدد من الباحثين في العلوم البحتة، مثل نظرية داروين في كتابه "أصل الأنواع"، الذي ذكر فيه أن عمر العالم، وبناء على الدراسات الجيولوجية، يعود لمئات الآلاف من السنين، وليس 4006 سنة كما حسبها أصحاب التوراة. ومن هنا أصبح هناك تشكيك في المعلومات الواردة في التوراة، وكان لا بد من أن تتبرى الكنيسة للرد على هؤلاء، وإثبات صحة النصوص التوراتية بعد التشكيك بها. ومن هنا، وكما سنرى في أدناه، أسس القساوسة الأنغليكان في بريطانيا وفي عام 1865ميلادية "صندوق اكتشاف فلسطين Palestine Exploration Fund" تبعها عدد آخر من الجمعيات ذات الأهداف المشابهة في أوروبا وأمريكا.

كما أن النصوص التوراتية تمر على كثير من أسماء المواقع والأعلام ذات العلاقة بالديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية، ومن هنا كان لا بد من المطابقة بين الأسماء التوراتية والموجودة على أرض الواقع الحالي. وحتى يتم هذا كان لا بد من زيارة هذه المواقع والتنقيب بها حتى يتم التأكد من أنها هي نفسها المذكورة في النصوص التوراتية.

3. أهداف اقتصادية: المنطقة غنية بالثروات الطبيعية، وموقعها متوسط من العالم القديم، ومعبرًا للتجارة والطرق التجارية.

4. الرغبة في إعادة نشر وسيطرة مفاهيم الحضارة الغربية على بلاد المشرق، كما كان الحال في العصور اليونانية والرومية (نحو 333 قبل الميلاد – 636 ميلادية)؛ إذ إنه وقبل مجيء الإسكندر وسيطرته على بلاد الشرق، وبعد الفتوحات الإسلامية، سادت ثقافات وحضارات شرقية امتدت من أواسط آسيا حتى سواحل البحر المتوسط الشرقية.

هذه بعض الأهداف المعلنة وغير المعلنة التي أبقت الغرب الأوروبي على تواصل مع الأرض المقدَّسة (فلسطين والأردن). كما نود أن نلفت الانتباه إلى أن النصوص التوراتية تشير إلى أنه بعد أن استقر الحال للقبائل الإسرائيلية في فلسطين جرى توزيع أرضها بين القبائل الاثنتي عشر، فحصلت تسع قبائل ونصف على الأراضي التي احتلتها في فلسطين، وحصلت قبيلتان ونصف (روبين وجاد ونصف المنسي) على أراض في شرقي نهر الأردن. وبرأينا أن هذا يعدُّ من أهم الدوافع للقيام بمثل هذه الزيارات والرحلات الاستكشافية، التي تبعتها حفريات أثرية في بعض المواقع التي ذكرتها التوراة، التي لها علاقة بالإسرائيليين القدماء، سواء في أثناء خروجهم من مصر أو بعد تأسيس دولتهم قصيرة العمر (سبعون عامًا). لكننا نعتقد أن ما حصل هو تحول ديني من الوثنية للموسوية في مناطق محصورة من جنوبي بلاد الشام، وأن فكرة احتلال المدن الكنعانية هي فكرة اختلقها كُتّاب التوراة (كفافي 2019a).

مأسسةُ البحث الأثري الغربي ومنهجيَّتُه:

ذكرنا أعلاه أن دارسي اللاهوت المتعصبين قد ازداد اهتمامهم بدراسة أحوال الأراضي المقدسة، خاصة بعد حملة نابليون على مصر وهجومه على عكا (1798 – 1801)، ومن هؤلاء نذكر: الألماني أولرش ياسبر ستزن (Ulrich Jasper Seetzen 1805-1807)، الذي زار مدينة جرش، والسويسري يوحنا لودفيغ بوركهارت الذي أعاد تقديم مدينة البتراء (Johann Ludwig Burkhardt 1801-1812)، والإنجليزيان سي. ل. إيربي وجيمس منجلز (James Mangles 1817-1818)، اللذين زارا موقع عراق الأمير، وجون سلك بكنغهام (John Silk Buckingham 1821)، الذي أعاد زيارة جرش وقام برسم مخططات للمباني الموجودة فيها. وتوالت بعدها الرحلات والزيارات خاصة إلى فلسطين، وكان من أشهرها ما قام به عالم اللغات السامية والجغرافيا الأمريكي إدوارد روبنسون (Edward Robinson) برفقة تلميذه إيلي سميث (Eli Smith) في عام 1938 ميلادية وذلك بتحديد مواقع وأسماء المواقع التاريخية في فلسطين (Albright 1971: 24-25). لقد سَجَّلَ هؤلاء ما هو ظاهر فوق سطح الأرض، وقدموا حول هذه الآثار الظاهرة التقارير، كما رسموا المخططات للمباني. وبطبيعة الحال، فإن هذا المنهج الوصفي لم يكن كافيًا لدارسي اللاهوت للحصول على معلومات تؤكد صحة النصوص التوراتية، فكان لا بد من إجراء تنقيبات أثرية في مواقع تذكرها التوراة. وحتى يتم هذا العمل لا بد من مأسسته، بسبب أنه مكلف جدًّا، وكما أنه بحاجة إلى مشاركة عدد من المتخصصين في عملية التنقيب (كفافي 2022: 142–144).

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحوُّلًا كبيرًا في دراسة والبحث في تاريخ وآثار الأرض المقدَّسة (فلسطين والأردن)؛ حيث أصبح العمل يتم تحت إشراف مؤسسات بحثية لاهوتية. وكان عمل هذه المؤسسات ذا طابع ديني – سياسي – عسكري؛ أي أن المؤسسات تحت سيطرة رجال الدين، وأن المشرفين على التنقيبات الأثرية كانوا في سلك العسكرية، وأنهم كانوا يقدمون معلومات عن البلاد التي يعملون بها لصالح بلادهم. ولقد جاء هؤلاء إلى بلادنا يحملون المعول بيد والتوراة باليد الأخرى، وتمركزت حفرياتهم بشكل خاص في مواقع ذكرتها التوراة في فلسطين، مثل أريحا وتل المتسلم وتل بيت مرسم. واتبع هؤلاء المنقبين في هذه الفترة منهجًا يبتعد عن العلم؛ إذ كانوا يهتمون فقط بالقطع الأثرية الكاملة والثمينة والجميلة، وقليل ما يسجلونها، ويصفون المباني المكتشفة بشكل بسيط. لكن وبعد أن وجدت هذه المدارس أن حدود القصة التوراتية تصل إلى أبعد من حدود الأردن وفلسطين وأنها لا تتبع منهجًا بحثيًا علميًا وسعت نشاطاتها لتشمل مناطق أخرى خاصة وادي الرافدين ووادي النيل (الأنصاري وكفافي 1992: 159). ومن أهم هذه الجمعيات نذكر ما يأتي:

- Palestine Exploration Fund (1865), England.
- Palestine Exploration Society (1870), United States of America.
- Deutsche Orient Gesellschaft (1897), Germany.

لكن الجمعية الأمريكية لاكتشاف فلسطين لم تنجح بمهامها فاستبدلتها الجمعية الأمريكية للبحث فيما وراء البحار (American Society of Overseas Research (ASOR) بأخرى في عام 1900 ميلادية، هي المدرسة الأمريكية للدراسة والأبحاث في فلسطين:

American School of Oriental Study and Research in Palestine (1900).

شهدت الفترة بين 1865 و1921ميلادية متابعة وصول المستكشفين والرحّالة للأردن، ونذكر من هؤلاء القنصل الفرنسي في القدس تشارلز سايمون كليرمونت – غانّو (Charles Simon Ganneau)، الذي قام بعدة زيارات فردية

للبلاد بهدف الاطلاع على الآثار وجمع بعضها. وكان أهم ما اشتراه هذا القنصل من آثار هو نقش ميشع (كفافي 2022: 175–176)؛ إذ أعلن في تشرين الأول (أكتوبر) من عام 1869م عن شرائه وشحنه إلى باريس في عام 1870 ميلادية (Kafafi 2019b: 631; Albright 1971: 27).

كذلك فعلت هذه المؤسسات؛ إذ أرسلت رحّالة دون القيام بأية حفريات أثرية، ومن هؤلاء نذكر، سيلاه ميريل (Sellah Merrill) الأمريكي والذي زار الأردن في الفترة بين 1874 و1877ميلادية وقدم تقريرًا وافيًا عن طبيعة البلاد والآثار والعباد (ميريل 2010). كما زار مستكشف ورحالة آخر، هو مهندس معماري أمريكي من أصل ألماني واسمه غوتليب شوماخر، مدينة عجلون ومناطق شمالي الأردن بما فيها الجولان في عام 1884 ميلادية (Albright 1971: 28)، وكتب كتابًا حول نتائج زيارته في عام 1890م بعنوان "شمال عجلون: ضمن الديكابوليس". وأتبع مسوحاته الأثرية هذه في مطلع القرن العشرين بإجراء حفريات أثرية في موقع تل المتسلم "مجدو" في سهل مرج إبن عامر في فلسطين. ونشر شوماخر ابتداء من عام 1886ميلادية تقاريره في المجلة الألمانية: Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins، لكنها ترجمت إلى اللغة الإنجليزية ونشرت بواسطة "صندوق استكشاف فلسطين" في المجلة التي كانت تصدر عنها، وهي: Palestine Exploration Fund Quarterly Statement.

كما شَكَّلَ "صندوق استكشاف فلسطين" بعثة لإجراء مسوحات أثرية وطوبوغرافية على ضفتي نهر الأردن بقيادة الضابط كلود كوندر (Claude Regnier Conder) واللورد كيتشنر (H. H. Kitchener) (Conder 1885; Conder and Kitchener 1881a; 1881b; 1881c). ونشر كوندر في عام 1889 ميلادية كتابه المعنون بـ:

The Survey of Eastern Palestine. Memories of the Topography, Orography, Hydrography, Archaeology, Etc. The Adwan Country. Vol. 1. London: The Committee of the Palestine Exploration Fund.

ويقدم فيه شرحًا وافيًا حول مسوحاته الأثرية والطوبوغرافية التي أجراها في شرقي نهر الأردن من عام 1881 ميلادية.

ومن الملاحظ أن معظم الرحالة والمستكشفين، إن لم يكونوا جميعهم، كانوا من الضباط العاملين في الجيش البريطاني. كما أن هؤلاء الرحالة والمستكشفين لم تكن لديهم القدرة على تأريخ الآثار سواء التي سجلوها (وثّقوها) أو التي لم يروها؛ أي لم تكن لديهم القدرة العلمية على تأريخ الآثار، ولم يعتمدوا أي منهج علمي في دراساتهم الميدانية وتقاريرهم المنشورة، التي لم تخرج في أغلبها عن اليوميات. وبقي الأمر على حاله حتى عام 1890 ميلادية حين قدّم الإنجليزي فلندرز بتري (Flinders Petrie)، نتيجة لحفرياته في مصر، طريقة لتأريخ الآثار تعتمد على الربط بين اللقى الأثرية المؤرَّخة (عليها كتابة، أو شعار لفرعون مصري) وربطها مع الطبقة الأثرية التي اكتشفت فيها هذه الآثار (Albright 1971: 29). ومن هنا أصبح باستطاعته تأريخ الأواني الفخارية بربطها مع الطبقة الأثرية التي عُثر عليها فيها (Albright 1939). ولا يزال هذا المنهج متَّبعًا من قبل عدد من البعثات الأجنبية والأردنية. كذلك فقد ربط هؤلاء الرحالة والمستكشفون والآثاريون، خاصة بعد إجرائهم عددًا من الحفريات في فلسطين مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، مثل حفريات تل العجول، وتل السلطان/ أريحا، وتل المتسلِّم/ مجدو، وتل الجزر/ جيزر، بين الآثار المكتشفة والتاريخ الإسرائيلي. وأطلقوا مسميات ومصطلحات على الفترات الزمنية تتطابق والتاريخ الإسرائيلي، على النحو المُبَيَّنِ في أدناه:

- الفترة المبكرة ما قبل الإسرائيلية (Early Pre-Israelite)، وهي الممتدة بين نحو 3000 و1800 قبل الميلاد.
- الفترة المتأخرة ما قبل الإسرائيلية (Late Pre-Israelite)(1800نحو – 1000 قبل الميلاد).

- اليهودية (Jewish) (نحو800 – 300 قبل الميلاد).
- السلوقية (Seleucidan) (من القرن الرابع وحتى القرن الأول قبل الميلاد).(Albright 1971: 30).

من هنا، نجد أن الهدف الأساسي من القيام بهذه النشاطات الأثرية هو البحث عن تاريخ للإسرائيليين في المنطقة، وإصباغ صبغة تاريخية عليه من خلال الآثار المكتشفة (Albright 1942). هذا المنهج اتبعته لاحقًا المدرسة اللاهوتية التوراتية التي أسسها وليم فوكسويل أولبرايت (William F. Albright)، ووضع أسسها معتمدًا على نتائج حفرياته بموقع تل بيت مرسم بالقرب من الخليل (Albright 1938; 1933). وقد تتلمذ على يد وليم أولبرايت عدد من التلاميذ كان أولهم وأبرزهم فرانك كروس (Frank M. Cross)، الذي واصل استخدام منهج أستاذه في دراسة آثار العصور البرونزية والحديدية. يؤكد كروس (Cross 1973: 1) في واحدة من أبحاثه على ما ذكره أولبرايت بأن مكان الحدث التوراتي وتاريخه يغطي المنطقة الممتدة بين الهند شرقًا وإسبانيا غربًا، وجنوبي روسيا شمالًا وحتى جنوبي الجزيرة العربية جنوبًا؛ ويبدأ من نحو 10000 (عشرة آلاف) سنة قبل الميلاد، أو ربما أقدم، وحتى الوقت الحاضر (Albright 1966; 1961).

– كتابة تاريخ الأردن القديم والباحثون الغربيون في الفترة بين 1921 – 1970 ميلادية:

بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية سقطت جميع البلدان في المشرق العربي تحت الانتدابين البريطاني والفرنسي. وقسمت هذه البلاد بناء على اتفاقية سايكس – بيكو بين هاتين القوتين، ووقعت كل من الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني الذي أسس في عام 1923 ميلادية دائرة الآثار العامة الأردنية تتبع للفلسطينية. وبقيت على هذا الحال حتى انفصلت عنها في عام 1928 ميلادية، وصدر أول قانون تشريعي للآثار في الأردن في عام 1934 ميلادية. وعلى الرغم من هذا فإن هذه الدائرة كانت تحت سيطرة الإنجليز، ولا ننسى أن أكثر مدير فاعل في فترة الانتداب كان البريطاني لانكستر هاردنغ (G. Lankester Harding) الذي أسس متحف الآثار فوق جبل القلعة، وبدأ بنشر حولية دائرة الآثار العامة في عام 1950م، وأصدر أول كتاب متخصص بآثار الأردن بعنوان "Antiquities of Jordan".

خلال فترة الانتداب البريطاني على الأردن وفلسطين قامت المدرسة التوراتية التي يقودها أولبرايت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بتدريب وتأهيل عدد من الباحثين اليهود من أمثال نلسون غلوك، وموشيه ستكلس ويغال يادين في الدراسات الأثرية، لكنها لم تعر أي اهتمام للعرب. وأجرى نلسون غلوك اليهودي الأمريكي في ثلاثينيات القرن الفائت مسوحات أثرية شامله لضفة نهر الأردن الشرقية، وأجزاء من الغربية (Glueck 1967; 1951a; 1951b; 1939;1935;1934). ونتيجة لهذه المسوحات خرج علينا غلوك بنظريته المعروفة القائلة إن المنطقة الواقعة إلى الجنوب من وادي الزرقاء كانت خالية من السكان المستقرين خلال الفترة بين القرنين الثامن عشر والثالث عشر قبل الميلاد (Glueck 1939: 266; 1934: 82). ومن الملاحظ أن غلوك هذا عدل نظريته أكثر من مرة من حيث المكان والزمان (أبو طالب 2006: 10–21). كذلك فمن نافل القول أن كلًا من كوندر وغلوك عنوانا كتبهما حول نتائج مسوحاتهما الأثرية باسم "استكشافات في شرقي فلسطين". وهذا العنوان يتطابق مع الادعاء التوراتي بأن قبيلتين ونصف إسرائيليتين سكنتا في شرقي نهر الأردن، علمًا أن غلوك نشر كتابه بعد تأسيس الإمارة في عام 1921ميلادية ونيل الأردن استقلالها عن بريطانيا في عام 1946 ميلادية.

شهدت الفترة الواقعة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية؛ أي بعد وقوع الأردن وفلسطين تحت الانتداب

البريطاني، نشاطاتٍ أثريَّةً مكثفة، خاصة في فلسطين، وبدأ الآثاريون ينقبون في أي موقع يشاؤون ويرون أن له علاقة بالحدث التوراتي. أما في الأردن فبخلاف مسوحات نلسون غلوك الشاملة فقد نَقَّبَ الإيطاليون في جبل القلعة بحثًا عن الآثار العمونية (Anastasio and Botarelli 2015)، والفرنسيسكان في موقع تليلات الغسول بحثًا عن المدن الغارقة (سدوم وعمورة) (Koeppel *et al.* 1940; Mallon, Koeppel and Neuville 1934). كذلك قامت بعثة أمريكية من معهد آثار الشرق الأدنى (Oriental Institute) في جامعة شيكاغو الأمريكية وبإشراف الباحث الأمريكي كارل كريلنغ خلال عشرينيات القرن الفائت بالتنقيب في جرش (Kraeling 1938).

وبعد خمسينيات وحتى بداية ثمانينات القرن الفائت أجرت العديد من البعثات الأثرية الأجنبية تنقيبات في عدد من مواقع العصور البرونزية، خاصة تلك التي يعتقد أن لها صلة ما بالحدث التوراتي، وكان من أهمها تلك التي جرت في تل السلطان/ أريحا (1952–1958م) والقدس (1961–1967م) على يد العالمة البريطانية كاثلين كنيون، وكانت أول من يستخدم منهجًا علميًّا في التنقيب عن الآثار (Kenyon 1971). ومن أهم الحفريات التي بدأ فيها تنقيب أثري خلال الفترة بين 1921-1970 في الأردن: تل السعيدية، وتل دير علا، وحسبان، وعراعير، وذيبان، وبصيرة وأم البيارة، والبيضا، والبترا. ومن الملاحظ أن جميع هذه المواقع تؤرِّخ للعصور البرونزية والحديدية، وأن من نقب فيها بعثات أجنبية. وعلى الرغم من وجود دائرة الآثار العامة الأردنية في ذلك الوقت إلاّ أنها خلت من الكوادر الأردنية المدرَّبة على العمل الأثري الميداني، لكن الأمر لم يخل من حفرية إنقاذيه هنا أو هناك قام بها العاملون في الدائرة، مثل ما جرى في موقع قبور القويلبة (حسن عواد)، وقبر سحاب، وقبر جبل الجوفة، وقبر جبل النزهة، وقبر مخيم إربد (رفيق الدجاني)؛ أي أن دور العاملين في الدائرة لم يخرج عن تنظيف مجموعة من القبور، ولم تستطع الدائرة أن تشكل فريق تنقيب أثريًّا في هذه الفترة. وبقي حال دائرة الآثار العامة الأردنية على ما هو حتى عام 1970 ميلادية حين انضم إلى كوادرها كل من معاوية إبراهيم وفوزي زيادين؛ إذ شَكَّلَ الأوَّلُ أوَّلَ بعثة أثرية للتنقيب، وبدأت عملها في تل سحاب في عام 1972 ميلادية (إبراهيم 2022؛ Ibrahim 1972).

كذلك كان الحال بالنسبة إلى الجامعة الأردنية خاصة بعد عام 1973 ميلادية، بعد عودة المبعوثين (عدنان الحديدي، عاصم البرغوثي، وخير ياسين، ومحمود أبوطالب، ونبيل الخيري، وصفوان التل)؛ فقد أخذ هؤلاء على عاتقهم التنقيب في عدد من المواقع الأثرية، لكن ما يهمنا هي مواقع العصور البرونزية والحديدية؛ إذ قام خير ياسين في عام 1975 وبالتشارك مع معاوية إبراهيم (دائرة الآثار العامة)، وجيمس سيوار (المركز الأمريكي للأبحاث الشرقية) بالبدء بالمسوحات الأثرية في غور الأردن، تبعها إجراء حفريات في تل المزار. وكان عدنان الحديدي قد شارك مع المركز الأمريكي للأبحاث الشرقية في عمّان في عام 1972–1973م بحفريات تل سيران العموني، كما أشرف جيمس سيوار المحاضر الأمريكي غير المتفرغ في الجامعة الأردنية في عام 1974 ميلادية على حفريات رجم خلدة التدريبية، وقدَّم معاويه إبراهيم (2022) دراسة مفصلة حول النشاطات الأثرية التي جرت في الأردن في مرحلة ما بعد تأسيس الإمارة من قبل الباحثين الأردنيين والأجانب.

بين التقليديين والراديكاليين الآثاريين الغربيين:

لقد واجه المنهج التوراتي التقليدي الذي أنشأه، وليم فوكسويل أولبرايت، في العقود الأخيرة عدم قبول ونقدًا من عدد من الباحثين الأجانب من أمثال كاثلين كنيون (Kenyon 1967: 273)، وهنك فرانكن (Franken 1970: 8)، ومارغريت شتيانر (Steiner 2020)؛ والعرب ومنهم: عدنان الحديدي (11-6 :1978-1977)، ومعاوية إبراهيم

(2009: 18-33) وزيدان كفافي (2011 "Arabic" :387-390; 2014; 2017).

شهد عام 1994 ميلادية تحولات سياسية؛ إذ وقّعت الأردن معاهدة سلام مع إسرائيل، وتأسست في العام نفسه مدرسة كوبنهاغن المناهضة للمنهج التوراتي، والمنهج الأولبرايتي (نسبة لأولبرايت)، التي قام على تأسيسها عدد من الباحثين اللاهوتيين من أمثال، توماس طومسون، وفيليب ديفيس، ونيلز لمكه، والإسرائيلي إسرائيل فنكلشتاين، وتطالب هذه المدرسة بعدم الاعتماد الكلي على ما ورد في النصوص التوراتية في تفسير الآثار المكتشفة. وبنظرنا أن كلا المدرستين لا تختلفان في الأهداف، لكنهما تبتعدان في الوسائل التي تخدم المخططات الصهيونية. وحيث إن هذا الموضوع ليس من أولويات هذا البحث؛ إذ تحدثنا عنه في بحث آخر (كفافي 2021)، فإننا لن نخوض في تفصيلاته.

الدور الأردني في تدوين التاريخ الأردني القديم:

رأينا في أعلاه أنه لم يكن هناك أي دور أردني فعّال في دراسة الآثار الأردنية والتنقيب عنها قبل عام 1970 ميلادية؛ وذلك لعدم توفر الكوادر البشرية المؤهلة. وحيث إنه ينبغي لجميع من يبحث في الآثار، بغض النظر عن الفترة الزمنية المنسوبة إليها، الاعتماد على تقارير البعثات الأثرية والكتابات والنقوش مصادر أساسية في كتابة أبحاثه. وبطبيعة الحال، كانت ولا تزال هذه المصادر محكومة لما قدمه الباحثون الغربيون من معلومات، ونقصد أننا كباحثين أردنيين لم نخرج من تحت عباءتهم. من هنا رأت الجامعات الأردنية أنه لا بد من الاهتمام بهذا الأمر وتهيئة الكوادر الأردنية المدرَّبة في حقل الآثار والعلوم التابعة لها. ونقدم في أدناه دراسة سريعة حول دور الجامعات الأردنية والأفراد في تدوين تاريخ الأردن القديم.

1. دور الأكاديميين في الجامعات الأردنية في تدوين التاريخ القديم:

نعلم أن المرحوم الشيخ المعلم الأستاذ الدكتور عبدالكريم الغرايبة هو أول أردني يحصل على درجة الدكتوراة في التاريخ (الحديث)، وهو مؤسس قسم التاريخ والآثار في الجامعة الأردنية منذ تأسيسها في عام 1962م، كما أنه، وبعد انتهاء عمله مديرًا لدائرة الآثار العامة في عام 1956، التحق للعمل للتدريس بقسم التاريخ في جامعة دمشق. وبرأينا أن هذين العاملين أثرا على فكر ومنهج عبد الكريم الغرايبة عندما وضع الخطة الدراسية لقسم التاريخ والآثار في الجامعة الأردنية. ومنهجه هذا يعني أنه وحتى تفهم الآثار يجب أن تعرف ما حدث في وقت صنعها والخلفية التاريخية للحدث والمكتشف الأثري؛ أي تفسير الظواهر الأثرية من خلال الأحداث التاريخية. وبرأينا أن الربط بين التاريخ والآثار يعزز القومية والانتماء أكثر من الفصل بينهما؛ لذا استقدم عددًا من أساتذة التاريخ والآثار من سوريا ومصر والعراق قبل إيفاد وعودة مجموعة من الأردنيين الذين تخصصوا بدراسة التاريخ والآثار، واستلموا مكان هؤلاء. وكان من بين المبعوثين العائدين الذين تخصصوا في التاريخ والآثار القديمة (العصور البرونزية والحديدية) كل من محمود أبو طالب (التاريخ القديم) وخير ياسين (الآثار القديمة). كما أنشأ الغرايبة في الوقت نفسه الذي تأسس فيه قسم التاريخ والآثار متحفًا أثريًّا تبع للقسم، وهذا خيرُ دليل على منهجة الربط بين التاريخ والآثار.

تتصف كتابات المرحوم أبي طالب على الرغم من قلتها بالعمق والمعرفة الأكاديمية، وحاور فيها الآراء التوراتية، بل نقض ما ورد فيها من معلومات (أبو طالب 2006). كما نشر أبو طالب كتابًا جامعيًّا حول تاريخ وآثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة، واعتمد في المعلومات المنشورة فيه على ما نشر في الحوليات الأثرية حول نتائج الحفريات الأثرية (أبو طالب 1978). كما عيَّنت الجامعة الأردنية في بداية ثمانينيات القرن الفائت عبدالجليل عمرو، الذي قدم أطروحته للدكتوراة لمعهد الآثار بجامعة لندن حول العصور الحديدية في الأردن.

أما خير ياسين فهو آثاري من الطراز الرفيع؛ إذ شارك في عدد من الحفريات الأثرية، لكن أهمها إشرافه على الحفريات الأثرية في موقع تل المزار في غور الأردن. ولقد نشر نتائج حفرياته هذه في عدد من المقالات في مجلات علمية عالمية محكمة، إضافية إلى حولية دائرة الآثار العامة الأردنية. كما جمع جميع مقالاته التي نشرها قبل عام 1988 ميلادية في كتاب نشره بعنوان "Archaeology of Jordan". وألَّف وترجم عددًا من الدراسات التي تتحدث عن المؤآبيين (Van Zyl 1990)؛ والأدوميين (1994)؛ والعمونيين (2022).

بعد وفاة المرحوم محمود أبو طالب وتقاعد خير ياسين ووفاة عبد الجليل عمرو التحق بقسم الآثار جهاد الديري الذي تخصص في دراسة الفخار في العصور القديمة (al-Dairi 2011). علمًا أن قسم التاريخ قد حظي بالتحاق سلامة النعيمات المتخصص في دراسة الجزيرة العربية قبل الإسلام. والمتابع للخطة الدراسية في قسم التاريخ في الجامعة الأردنية يجد أنها تكاد تخلو من المساقات المتخصصة في العصور البرونزية والحديدية، حتى إنه لا يوجد في القسم من حلَّ محل الدكتور أبو طالب في تدريس مساقات التاريخ القديم.

بقي المنهج التدريسي القائم على الربط بين التاريخ والآثار قائمًا في الجامعة الأردنية حتى تغير الحال في العام الأكاديمي 2009/2008م حين تحول قسم الآثار في الجامعة الأردنية إلى معهد، وتشكل من ثلاثة أقسام، هي: الآثار، والسياحة، والعلوم التطبيقية في الآثار. وَعُدِّلت الخطة الدراسية في الآثار في الجامعة الأردنية لتضم جميع تخصصات الآثار بما في ذلك "عصور ما قبل التاريخ"، خاصة بعد عودة المبعوثة ميسون النهار. وهنا تبدأ مرحلة تدريسية جديدة في الجامعة الأردنية. علمًا أن الجامعة الأردنية وفي العام الأكاديمي 2013/2012م أصدرت قرارًا بتحويل المعهد إلى كلية. على أيَّة حال، نرى أن منهج التدريس اختلف، فدخلت تخصصات عصور ما قبل التاريخ والسياحة والمصادر التراثية على تدريس الآثار. ومن هنا نرى أن الأصل هو تخصص الآثار والذي أصبح تابعًا للتخصصات الأخرى، فَعُدِّلت المناهج الدراسية لتتواءم مع بعضها بعضًا، كما أن عدد خريجي كلية الآثار والسياحة أصبح كبيرًا على خلاف الحال عندما كان قسمًا، فزاد عدد العاطلين عن العمل.

عيَّنت جامعة اليرموك منذ إنشائها في عام 1976 ميلادية مجموعة من أعضاء هيئة التدريس كان من أولهم المرحوم محمود الغول، الذي أسس "مركز الدراسات الأردنية"، وتبعه معاوية إبراهيم في عام 1979 ميلادية، الذي وضع الأسس العلمية لبناء معهد الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك في عام 1984 ميلادية. ولم يكن الهدف من تأسيس المركز والمعهد في أساسه إلاّ دراسة التراث الثقافي وتوثيقه والمحافظة عليه. وبناء على هذا التوجه بدأت الجامعة ابتداء من مطلع ثمانينيات القرن الفائت وتحت إشراف معاوية إبراهيم باستقطاب عدد من الكفاءات الأردنية والعربية والأجنبية للبدء بتنفيذ هذه الفكرة، وانضوى الملتحقون إمّا بقسم العلوم الإنسانية والاجتماعية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وإمّا في مركز الدراسات الأردنية. وإذا كان المعهد قد بدأ بعدد قليل من أعضاء هيئة التدريس والفنيين والإداريين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد فإن عدد أعضاء هيئة التدريس قد تضاعف عشرات المرات.

بدأ المعهد خطواته التدريسية في العام الأكاديمي 1985/1984م بعد أن سمحت اللجنة الملكية التي أشرفت على تأسيس جامعة اليرموك بالبدء بالتدريس في المعهد شريطة التدريس ببرنامج في الدراسات العليا/ الماجستير فقط. وحيث إن المخطط الرئيس لقيام المعهد هو معاوية إبراهيم خريج جامعة برلين الحرة فقد انتهج نهجًا مخالفًا لما كان سائرًا في الجامعة الأردنية؛ إذ إن المنهج التدريسي الذي اتبعه يربط بين الآثار والأنثروبولوجيا. وكان الهدف من إنشاء المعهد، إضافة إلى دراسة التراث الأردني، هو إنشاء مدرسة عربية مناهضة، أو أن تكون على المستوى العلمي نفسه، للمدرسة

التوراتية في تفسير ودراسة آثار العصور البرونزية والحديدية.

ولتحقيق هذه الغايات بُدِئ ببرنامج للدراسات العليا؛ الماجستير في حقلي الآثار والأنثروبولوجيا الاجتماعية، ثم تبعهما في عام 1986 برنامج آخر في النقوش، ومن ثم قسم المصادر التراثية في عام 1999م. وكان يقبل في كل عام وفي كل قسم عدد قليل لا يتجاوز العشرة طلبة. إضافة إلى البرامج الأكاديمية أجرى العاملون في المعهد عددًا من الأعمال الميدانية، تركَّزت معظمها على المواقع الأثرية المهددة بالزوال، وجاءت في غالبيتها على شكل مشاريع مشتركة مع مؤسسات عالمية معروفة. ومن هذه المواقع عدد يؤرِّخ للعصور البرونزية والحديدية، وأشرف على الحفريات الأثرية فيها كل من معاوية إبراهيم وزيدان كفافي، منها خربة الزيرقون، والمغير، وأبو الثواب، ودير علا، وتل الحمة، وأخيرًا تل داميا. وقد نشرت نتائج هذه التنقيبات في كتب ومقالات في مجلات علمية عالمية محكمة ومفهرسة.

ومنذ مطلع العام الدراسي 2004/2003، ارتأت جامعة اليرموك ضرورة تحويل المعهد إلى "كلية"، واستحدثت برامج أكاديمية للمرحلة الجامعية الأولى "البكالوريوس". وعلى الرغم من أن الخطة الدراسية سواء لمرحلة البكالوريوس أو الماجستير تضم عددًا لا بأس به من المساقات في العصور البرونزية والحديدية إلاّ أنه وبعد تقاعد كل من معاوية إبراهيم وزيدان كفافي لم يتبق في كلية الآثار والأنثرولوجيا سوى مدرِّس يحمل درجة الماجستير في العصور البرونزية يقوم على تدريس هذه العصور، إضافة إلى الزميل خالد أبو غنيمة المتخصص في العصور الحجرية.

أما بخصوص كتابة تاريخ الأردن القديم بعد عام 1994 ميلادية من قبل الباحثين الغربيين فقد أصبحوا أكثر جرأة في تجيير التراث العموني والموآبي والأدومي للقبائل الإسرائيلية روبين وجاد ومنسي. ونضرب في أدناه بعض الأمثلة على هذا؛ إذ نشر في عام 2000 كتاب بعنوان "The Archaeology of Jordan" ، وجاء في الفصل الخاص بالعصر الحديدي (نحو 1200 – 586 قبل الميلاد) تسميات لمناطق ومواقع أردنية من العصر الحديدي الثاني على أنها إسرائيلية (Herr and Najjar 2000: 330-334)، لكن هذه التسميات حُذِفَت في طبعة الكتاب الثانية التي صدرت في عام 2008 (Adams 2008: 311-334)، نتيجة لمناقشة دارت بين زيدان كفافي ولاري هير المؤلف الأول للبحث.

ومن المؤلفات التي نشرت في عام 2000 ميلادية حول العلاقة بين المواقع الأثرية في الأردن والتوراة، كتاب نشره بيرتون ماكدونالد (Burton MacDonald) بعنوان: "East of the Jordan". Territories and Sites of the Hebrew Scriptures.، وقد ألحق بكتابه هذا ملحقًا من ثلاث صفحات تضم قائمة بأسماء مواقع أثرية أردنية، يعتقد أن لها علاقة بالقبائل الإسرائيلية (MacDonald 2000: 209-211).

كما نشرت بعثة جامعة سان دييغو الأمريكية تقريرًا حول نتائج أبحاثهم في منطقة وادي فينان على u-Tube ذكروا فيه أن مناجم النحاس في المنطقة كانت في القرن العاشر قبل الميلاد تخص الملك سليمان. وجرت مراجعة أبحاث هذه البعثة في بحث نشره زيدان كفافي تدحض هذا الادعاء (Kafafi 2014). لكن أعضاء فريق التنقيبات الأثرية في وادي فينان ردوا على ذلك متسائلين: هل زيدان كفافي خائف (عنده فوبيا) من سليمان، أم من القرن العاشر قبل الميلاد؟ (Najjar 2015).

تذكر النصوص التوراتية أن منطقة جلعاد في الأردن منحها الرب لقبيلتي روبين وجاد (سفر العدد 32: 1). وتضم هذه المنطقة بطبيعة الحال عددًا كبيرًا من المواقع الأثرية، نذكر منها ذيبان، وعطروز، وحسبان ، وعلعال في مؤآب، وموقع تل الرميث الذي يقع بالقرب من جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية. وقد نقب في هذا الموقع في بداية ستينيات القرن الفائت الآثاري الأمريكي بول لاب (Paul Lapp)، ونشر أن هذا الموقع تبع خلال العصر الحديدي لمملكة

دمشق الآرامية خلال الفترة بين نحو 1000و586 قبل الميلاد. ونظرًا إلى أهمية الموقع زارته بعثة إسرائيلية في عام 2011 ميلادية، ادَّعت أنه كان تابعًا لمملكة إسرائيل وليس آراميًا (Finkelstein et al. 2013). وحيث إن ما نشره الإسرائيليون لم يقم على بحث واستقصاء علمي، وإنما نتيجة لزيارة عابرة، فقد جرى الرد على ما جاء في بحثهم ببحث آخر كتبه زيدان كفافي (Kafafi 2017).

وحتى يثبت القول بالفعل كان لا بد للباحثين والمنقبين التوراتيين من نسبة بعض المظاهر الأثرية من عمائرية ولقى للإسرائيليين، مثل الجرار ذوات الرقبة على شكل الياقة (Collared-rim Jars)، والبيوت المعمدة ذوات الغرف المتعددة (Pillared Houses). وكتب معاوية إبراهيم بحثًا يدحض فيه نسبة هذا الشكل من الجرار لبني إسرائيل (Ibrahim 1978)، وكذلك فعل زيدان كفافي (Kafafi 2001).

ولأهمية النقوش والكتابات القديمة في دراسة العصور القديمة أسست جامعة اليرموك "مدوَّنة النقوش الأردنية"، تبعها إنشاء قسم للنقوش فيها يطرح برنامجًا للماجستير فقط، كما أرسلت عددًا من المبعوثين في هذا المجال، من أمثال فواز الخريشة، وعمر الغول، وهاني الهياجنة. وتخصص كل منهم في فرع منها، الأول في النبطي، والثاني في اللغات السامية الشمالية الغربية، والثالث في العربية الجنوبية. وقام هؤلاء الزملاء بعدد من المشاريع الميدانية ونشروا عددًا من الكتب والأبحاث في هذا التخصص.

من هنا نلاحظ أن البحث في العصور البرونزية والحديدية في الأردن (نحو 3600 – 586 قبل الميلاد)، الذي قام به الأردنيون لم يخرج عن كونه دفاعًا عن النفس، وجاء مشتتًا وبمبادرات فردية. وكان من الأولى أن تشكل هذه الجامعات وبالتعاون مع دائرة الآثار العامة الأردنية فرقًا بحثية يكون لها منهج علمي واضح وموحد. ومن الواجب ذكره أن تاريخ الأردن في العصور القديمة قد ارتبط وكتب مع تاريخ فلسطين وابتعد عن بلاد الشام عند كثير من الباحثين الأجانب والعرب (إبراهيم 2009؛ Albright 1971; Kenyon 1979)، وإن كُنّا نرى أن هناك خصوصية لمنطقة شرقي النهر عن غربيه خاصة في العصر الحديدي (الممالك العمونية والمؤآبية والأدومية) (كفافي 2006).

2. تدريس التاريخ القديم في الجامعات الأردنية:

كما ذكرنا في أعلاه أن الجامعات الأردنية: الأردنية، اليرموك، مؤتة، الهاشمية، آل البيت، الحسين بن طلال، اهتمت بتدريس تاريخ الأردن وآثاره عبر العصور المختلفة. وأن الجامعة الأردنية ومنذ إنشائها في عام 1962 ميلادية أسست قسمًا للتاريخ والآثار كان معظم أعضاء الهيئة التدريسية فيه من السوريين والمصريين والأجانب (أمريكان وإنجليز) حتى سبعينيات القرن الفائت حين عاد المبتعثون الأردنيون من بعثاتهم. وكان من أوائل المبتعثين الأردنيين من الجامعة الأردنية في المجال المعرفي للعصور البرونزية والحديدية هم: خير ياسين، ومحمود أبوطالب، وعبد الجليل عمرو، وللأسف، فإن ثلاثتهم قد ترك الجامعة إما للوفاة أو التقاعد، وعيّن حديثًا جهاد الديري ليدرس المساقات في هذا التخصص، يساعده آخرون، تخصصوا في حقول أخرى مثل، عصور ما قبل التاريخ. وما ينطبق على الجامعة الأردنية ينسحب على غيرها من الجامعات الأخرى؛ إذ لا يوجد فيها جميعها حاليًا من يحمل درجة الدكتوراة في العصور البرونزية والحديدية في الجامعات الأردنية إلاّ أربعة، هم، فردوس العجلوني وخالد دغلاس ومحمد وهيب (الجامعة الهاشمية)، وجهاد الديري (الجامعة الأردنية). وإن دلّ هذا على شيء فإنما يظهر تراجع الاهتمام بهذه الفترة من تاريخ الأردن (نحو 3200–332 قبل الميلاد)، حتى إن عدد المساقات التي تخص هذه المرحلة وتدرس في الجامعات الأردنية قليل جدًّا. وقد يسأل سائلٌ ما السبب في هذا على أهمية هذه الفترة التي تعد من صميم اهتمامات الباحثين اللاهوتيين التوراتيين؟

للإجابة عن هذا السؤال نستطيع القول، أن الطلبة لم يعودوا يقبلون على دراسة الآثار لتفشي البطالة بينهم بسبب العدد المرتفع لخريجي الجامعات الأردنية في هذا التخصص، ومن هنا لا بد من وقفة مراجعة بهذا الخصوص. الأمر الأهم، أنه وفي السنوات الأخيرة علت الأصوات بضرورة صيانة وترميم الآثار عوضًا عن الكشف عنها فأسست أقسام أخرى في الصيانة والترميم والمحافظة على الآثار، وأصبح أصحاب هذا التخصص هم أصحاب اليد العليا على القرار في تدريس الآثار. وبناء عليه، حلت مساقات هذا التخصص مكان مساقات الآثار والنقوش والكتابات القديمة، وخير مثال على هذا الخطة الدراسية في الآثار في جامعة اليرموك. ويبين الجدول في أدناه دور كل جامعة من الجامعات الأردنية في البحث والتدريس بالعصور البرونزية والحديدية.

اسم الجامعة	القسم	مساقات إجبارية	مساقات اختيارية	مجموع الساعات
– الجامعة الأردنية	– كلية الآداب/ قسم التاريخ	– تاريخ الشرق القديم. – تاريخ العرب قبل الإسلام. – حضارات قديمة.	– آثار الأردن.	– 12 ساعة (لا يوجد أي مساق منها يدرس الأردن في الفترة بين نحو 3600 – 586 قبل الميلاد، غير أن مساق آثار الأردن يمر سريعًا عليها)
	– كلية الآثار والسياحة/ بكالوريوس الآثار.	– آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة. – نقوش سامية شمالية غربية. – لغة قديمة. – الخزف القديم. – حضارات قديمة/ متطلب كلية إجباري.	– العمارة خلال العصرين البرونزي والحديدي. – نقوش كنعانية وآرامية. – دراسة للممالك العمونية والمؤآبية والأدومية. – آثار العصور البرونزية والحديدية. – النقوش الكنعانية والآرامية. – الأسطورة في الشرق القديم.	– 24 ساعة معتمدة تدرس الأردن في العصور البرونزية والحديدية.
	– كلية الآثار والسياحة/ ماجستير الآثار. –	– آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة.		3 ساعات.
– جامعة اليرموك	– كلية الآداب/ قسم التاريخ	– تاريخ الشرق الأدنى القديم		3 ساعات لا علاقة لها بالعصور البرونزية والحديدية في الأردن
	– كلية الآثار والأنثروبولوجيا/ بكالوريوس.	– العصور البرونزية والحديدية. – آثار الشرق الأدنى القديم. – الممالك الأولى في الأردن في العصر الحديدي.	– المدن الأولى في الشرق القديم. – الأختام والأختام الاسطوانية والجعران في العصور القديمة. – العصور البرونزية والحديدية في شمالي بلاد الشام.	18 ساعة مقسمة إلى 9 إجباري و9 اختياري. تخلو الخطة من مساقات في اللغات السامية الشمالية الغربية.
	– كلية الآثار والأنثروبولوجيا/ الماجستير	– بلاد الشام في العصور القديمة (موضوعات خاصة).		3 ساعات.

اسم الجامعة	القسم	مساقات إجبارية	مساقات اختيارية	مجموع الساعات
– جامعة مؤتة	– قسم الآثار والسياحة	– كتابات الشرق الأدنى القديم. – جنوب بلاد الشام في العصور البرونزية. – حضارات الشرق القديم. – جنوب بلاد الشام في العصور الحديدية. – الفخار القديم.		15 ساعة.
	– قسم التاريخ	– تاريخ الأردن وحضارته. – تاريخ الشرق القديم.		6 ساعات (لا تدرس العصور البرونزية والحديدية).
– الجامعة الهاشمية	– قسم السياحة المستدامة/ البكالوريوس	– تاريخ وآثار الأردن (1). – عمارة قديمة (1). – تاريخ وآثار الأردن (2).	– الحضارات والممالك القديمة في الأردن. – الكتابات القديمة في الأردن. – الفنون القديمة في الأردن. – تاريخ الأردن وحضارته	15 ساعة معتمدة (جميع المساقات لا تركز على العصور البرونزية والحديدية)
– جامعة آل البيت	– قسم التاريخ	– تاريخ الحضارات القديمة		3 ساعات
– جامعة الحسين بن طلال	– كلية البترا – قسم الآثار	– كتابات الشرق الأدنى القديم. – جنوب بلاد الشام في العصور البرونزية. – حضارات الشرق القديم. – جنوب بلاد الشام في العصور الحديدية. – الفخار القديم.		15 ساعة منها 6 ساعات فقط للعصور البرونزية والحديدية.

بناء على ما تقدم في أعلاه، نرى أن الجامعات الأردنية بحاجة إلى إعطاء اهتمام أكثر لتدريس العصور البرونزية والحديدية؛ إذ إنها تشكل مراحل حرجة في تاريخ جنوبي بلاد الشام بشكل خاص لاعتقاد الباحثين الغربيين اللاهوتيين أنها تمثل الزمان والمكان التوراتي. كذلك يجب أن لا نكتفي بزيادة عدد الدروس بقدر تأهيل كوادر أردنية كفؤة وقادرة علميًّا على مقابلة الحجة بالحجة، ولا يكون ذلك إلّا بإنشاء المراكز البحثية. ونود الإشارة هنا إلى أن برنامج ماجستير "الحضارات العربية القديمة"، الذي كان يدرَّس في الجامعة الهاشمية، قد أوقفته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، علمًا أن الخطة الدراسية لهذا البرنامج قد شملت بعضًا من المساقات في العصور البرونزية والحديدية.

مناهج البحث في التاريخ القديم في الأردن:

ذكرنا في أعلاه أن بدايات علم الآثار في العالم العربي عامة قد بدأت على يد مجموعة من العلماء الغربيين اللاهوتيين بشكل خاص الذين جاؤوا إلى هذه المنطقة خدمة لأغراضهم الدينية والسياسية (الحديدي 1977–1978: 6–10). ورأينا كيف أن المستكشفين والرحالة الغربيين لم ينقطعوا عن زيارة المواقع الأثرية ذات العلاقة بالتوراة منذ انتهاء الحروب الصليبية وحتى الحاضر. ولم تتعد منهجية هؤلاء في بداية الأمر وصف ما شاهدوه من آثار، ورسم بعض الظواهر الأثرية، إضافة لتسجيل ملاحظات حول البلاد والعباد. لكن ومنذ مطلع القرن التاسع عشر؛ أي بعد حملة نابليون على مصر (1798–1801)، غلب الطابع العلمي على تقارير الرحالة والمستكشفين على الديني. ويمكننا

القول إنه وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (بداية تأسيس المدارس والجمعيات الأثرية في أوروبا وأمريكا) والنصف الأول من القرن العشرين فقد تركز البحث الأثري على العصور البرونزية والحديدية وجاء التوراتيون يحملون التوراة بيد والمعول باليد الأخرى باحثين عن أثر أو نقش أو كتابة تعود لهاتين الفترتين. وظهرت خلال هذه الفترة المدرسة التوراتية التقليدية التي أسسها وليم فوكسويل أولبرايت، الذي حدد منهجًا بحثيًّا علميًّا يقوم على الربط بين الطبقات الأثرية والآثار المكتشفة فيها خاصة الأواني الفخارية كأساس لتأريخ هذه المواقع والآثار، فَنُسِبَت بعضُ المباني والأواني الفخارية للإسرائيليين، وأصبح يُؤشَّرُ على المواقع المكتشفة فيها على أنها إسرائيلية. لكن بعد أن تحقق لهذه المدرسة ضيق أفقها وعدم اتباعها المنهج العلمي الصحيح خرج علينا علماء من أهلها يطالبون بعدم الاعتماد على النصوص التوراتية في تفسير الآثار، بل أن تؤخذ بِوَصفِها مصدرًا ثانويًّا.

كذلك أدخل هؤلاء الباحثون الغربيون، خاصة في الوقت الحاضر، العلوم الطبيعية والمخبرية في دراسة الآثار وتفسيرها، فابتعدت الدراسات الأثرية عن التاريخية. فمثلًا، أصبح من طرق التأريخ للعصور الحديدية استخدام فحص عينات عضوية بواسطة الكربون الإشعاعي، وهذا خلق مشكلة بين الباحثين التوراتين وغيرهم في تأريخ بداية الممالك العمونية والمؤآبية والأدومية؛ إذ قرر التوراتيون أنها، وحتى تتوافق مع النصوص التوراتية، كانت مع بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد (Levy *et al.* 2005) بينما أنكر آخرون هذا ورأوا أنها ازدهرت في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد (Bienkowski 1992). هذا في ما يخص مناهج البحث في العصور البرونزية والحديدية، لكن إذا ما أردنا دراسة مناهج البحث في الآثار بشكل عام فهناك مناهج عدة، منها: دراسة الشكل أو النمط، المنهج الاقتصادي، والإثنولوجيا، والتجريبي، والإحصائي. أما علم الآثار الجديد فيجمع بين التوجه الإثنولوجي والتوجهات الاجتماعية؛ أي يقوم على فهم تنظيم المجتمعات البشرية الاجتماعي داخل أماكن سكناها؛ وذلك بهدف ربطها بنظام عام للسلوك الإنساني (Sharer and Ashmore 1979: 22-32).

-هل هناك مدرسة أردنية للبحث والتدريس في التاريخ القديم؟

المتابع للدراسات والأبحاث الأثرية يجد أنها بدأت بالبحث عن الكنوز والقطع الأثرية الجميلة، تلاها الربط بين القصص التوراتية والآثار واستخدام طرق ومناهج بسيطة وغير صحيحة في البحث عن الآثار، كما كان الحال في الحفريات التي جرت مطلع القرن العشرين في تل السلطان/أريحا، وتل المتسلِّم/ مجدو وغيرها، التي اعتمدت المنهج الوصفي في تفسير الآثار المكتشفة. لكن هذا المنهج سرعان ما تغير على يد كاثلين كنيون في حفرياتها في تل السلطان خلال الأعوام 1952-1958م وفي القدس 1961-1967م، حين استخدمت طريقة تقسيم الموقع إلى حارات، وقسمت كل حارة إلى مربعات. كما أنها أوجدت طريقة لتسجيل الآثار وتوثيقها وهي في الموقع وبعد إخراجها إلى المعامل للدراسة، وأصبح تفسير الآثار لا يعتمد على الوصف فقط بل على الربط بين الظواهر الأثرية مجتمعة (Kenyon 1971).

لم يبق هذا المنهج في البحث على حاله خاصة بعد الثورة الرقمية؛ إذ أصبح لدينا الآن ما يعرف باسم "Digital Archaeology"، إضافة إلى استخدام الدراسات المخبرية في تفسير الآثار. وبرأينا أن الدراسات الأثرية هي مختبر كتابة التاريخ، خاصة التاريخ القديم. ونضيف مصدرًا آخر للآثار، ألا وهو النقوش والكتابات القديمة. هذا هو المنهج الغربي الذي لا يزال متَّبعًا في كتابة التاريخ القديم من قبل الباحثين العرب عامة، والأردنيين خاصة. إن تفسير الظواهر الأثرية لم يعد يعتمد الوصف، وأصبح لزامًا على الآثاريين الاستعانة بالدراسات المخبرية؛ أي العلوم التطبيقية للحصول على إجابات تؤكد أو تنفي صحة دراساتهم (كفافي 2004: 153-155).

إن مشكلتنا نحن العرب، لا تكمن باستخدامنا للمناهج الغربية التي تعلمناها في الجامعات والمعاهد الأوروبية أو الحالة التقريرية التي يفرضونها علينا وعلى عقولنا، وإنما بغياب منهجنا العربي في رؤية تراثنا ودراسته؛ إذ يجب أن تختلف رؤيتنا للأحداث التاريخية في نظرتها عن رؤية الباحثين الغربيين، لكن نستخدم الوسائل العلمية الصحيحة في تفسيراتنا. ونضرب مثالًا من عدة أمثلة على هذا الأمر، فعندما يقرأ الباحثُ الأردنيُّ نقشَ الملك المؤآبي ميشع يرى أنه يمثل انتصارًا على الإسرائيليين، بينما يرى فيه الباحثُ التوراتيُّ أن يثبت وجود مملكة إسرائيلية احتلت أجزاء من الأردن وأن المعبد المكتشف في عطاروز بالقرب من بلدة ذيبان هو المذكور في السطر 11 من هذه المسلة.

ولتأصيل ووضع منهج بحثي أردني خاصة، وعربي عامة، لا بد للقائمين على دراسة تاريخ الأردن القديم من اللقاء في محاولة لوضع منهجية تتبع أسلوب البحث العلمي الحديث الذي يعتمد على تقديم البراهين الأصلية والصحيحة دون تحيز. ولا ننكر أن محاولات جرت في الأردن (معهد الآثار والأنثروبولوجيا/ جامعة اليرموك)، لكنها وللأسف توقفت. وإننا نعتقد أننا قادرون في الأردن على تنفيذ ما تمنيناه إذا تضافرت الجهود وتكاتفت وأخذنا بيد بعضنا بعضًا.

خاتمة

يعدّ الأردن جزءًا لا يتجزأ من الأرض المقدسة؛ لذا ارتبطت كتابة تاريخه القديم بتاريخ فلسطين القديم. وكما ذكرنا في أعلاه فإن الباحثين على اختلاف خلفياتهم العلمية وأعراقهم لم يفصلوا بين شرقي وغربي النهر في الفترات السابقة للعصر الحديث. وإننا نرى ما يراه هؤلاء، لكننا نرى اعتمادًا على المصادر الأصلية المكتوبة (الرافدية خاصة) والآثار المكتشفة أنه كان هناك وفي الفترة بين نحو 1200–332 قبل الميلاد نوع من الخصوصية الأردنية بوجود ممالك العمونيين والمؤآبيين والأدوميين التي تأسست في شرقي النهر. هذه الفترة تعدّ من أهم فترات التاريخ الأردني القديم، خاصة أن شرقي نهر الأردن، وحسب الادّعاء التوراتي، شَكَّلَ جزءًا من الطريق الذي سلكه الإسرائيليون في خروجهم من مصر (سفر الخروج) ، وكذلك علاقتها مع ممالك إسرائيل ويهوذا بعد ذلك. أدى هذا الأمر إلى أن تكون الأردن قبلة للباحثين التوراتيين الذين كتبوا تاريخه حسب هواهم وما يلائم وجهة نظرهم. وللأسف، فقد رأينا في أعلاه أن أقسام التاريخ في الجامعات الأردنية تمر على هذه الفترة مرورًا عابرًا، حتى إنها تخلو من أعضاء هيئة تدريس في هذا المجال المعرفي؛ إذ لا يتوفر حاليًا في كل الجامعات الأردنية من يحمل درجة الدكتوراة في العصور البرونزية والحديدية إلاّ أربعة: ثلاثة منهم في الجامعة الهاشمية حيث لا يوجد برنامج لتدريس الآثار فيها، وزميل حديث العهد في الجامعة الأردنية، كما أن عدد المساقات التدريسية المطروحة في هذا التخصص قليلة جدًّا، وبرأينا أن هذا الأمر يدل، وللأسف، على عدم الوعي بهذه الفترة التي تعدّ الهدف الأساس للباحثين التوراتيين الطامعين ببلادنا. وقد يسأل سائلٌ ما السبب في هذا على أهمية هذه الفترة التي تعد من صميم اهتمامات الباحثين اللاهوتيين التوراتيين؟ ويمكننا الاجتهاد في الإجابة عن هذا التساؤل بما يأتي:

1. عدم اهتمام المعنيين بالآثار بالبحث العلمي، وبإنشاء مراكز بحث أثرية على غرار البلدان الأخرى. من هنا نلحظ أن ما قام به بعض الباحثين الأردنيين، وهم قلّة، لا يخرج عن كونه دفاعًا عن النفس، وجاء مشتتًا وبمبادرات فردية، وغير منظم.
2. عدم الوعي بتاريخ الأردن القديم، والتركيز على الفترات الإسلامية، والحديثة، والمعاصرة.
3. ظهرت في أمريكا، وتبعتها بقية بلدان العالم عدة علوم حديثة ارتبطت بشكل أو بآخر بدراسة الآثار والبحث

فيه، مثل الأنثروبولوجيا الثقافية/ الاجتماعية، وإدارة المصادر التراثية. وبرأينا أن ربط هذه العلوم ومشاركتها للدراسات الأثرية، جعلت المعنيين في الجامعات الأردنية يولونها أهمية أكثر من تدريس التاريخ القديم. نعتقد أن هذه العلوم الحديثة مهمة جدًّا في المساعدة على تفسير الآثار، لكننا في المشرق نمتاز بعمق تاريخي لا يملكه العالم الغربي. فمثلًا بدأت الكتابة في بلاد الرافدين ووادي النيل في نحو 3200 قبل الميلاد، بينما في أوروبا في القرن الأول الميلادي.

فمثلًا يطالب الجميع بوقف الحفريات الأثرية في الأردن، والتركيز على الصيانة والترميم، وهذا أمر جيد، لكن هل نستطيع أن نقول لبعثة أجنبية من بلد صديق ينقب في موقع أو يريد التنقيب في موقع جديد: لا لن نمنحكم رخصة للتنقيب، على الرغم من أن جميع الشروط المطلوبة من هذا الفريق متوفرة؟

4. غلبت التخصصات المتفرعة عن الآثار على الأصل، ومن هنا فإن القائمين على هذه التخصصات، وفي كثير من الحالات، هم واضعو الخطط الدراسية. وبناء عليه حلّت مساقات التخصصات هذه مكان أخرى لها علاقة مباشرة بكتابة التاريخ القديم، خاصة النقوش والكتابات القديمة.

5. للأسف لا يوجد في البلدان العربية مجتمعة، ومنها الأردن، أي منهج بحثي أو مدرسة متخصصة في البحث ودراسة العصور القديمة، ونقولها بفم واسع، إنه وحتى الحاضر فإننا في دراستنا وتدريسنا للتاريخ القديم "مقلدون وغير مبدعين".

6. لنخرج منه هذا نجد أنه من الأولى أن يؤسس في الأردن مركز بحثي يعنى بالبحث والنشر بالعصور القديمة يكون إما مرتبطًا بدائرة الآثار العامة الأردنية، أو المركز الأعلى للعلوم والتكنولوجيا. فإن استطعنا أن نفعل، نكون قد امتلكنا سلاح المعرفة والحُجَّة العلمية المستندة على إثباتات تاريخية وأثرية. وكلام الأرض ولغة الحرف أصدق من كل كلام. ومن هنا نطالب أن تبقى الآثار هي وثائقنا التاريخية، وأن يكون منهجنا هو الربط بينهما.

خارطة تبيّنُ أهم المواقع الأثرية في الأردن (رسم فواز إسحاقات)

Teaching and Researching the History and Archaeology of Jordan during the Bronze and Iron Ages (ca. 3600 – 1200 BC)

Zeidan A. Kafafi *

ABSTRACT

The history of nations is their political and cultural identity, but this recorded history, which began with the knowledge of writing in the East about 3200 years BC and has continued until the present, has seen difficulties and declines in civilizations. What concerns us in this article is shedding light on an important period of Jordan's ancient history – the Bronze and Iron Ages (c. 3600-332 BC) – which scholars of religion and the Bible contect with stories in the Bible beginning with the the Israelites leaving Egypt, their coming to Palestine and their establishing their state. It is important for us to shed light on who undertook and undertakes recording that history and the methodologies followed and the interpretation of antiquities and ancient inscriptions related to that history. We have seen that it is necessary to the extent possible to clarify Jordan's role in the study of Jordan's ancient history by the Jordanian universities that study history and archaeology and related fields. Since the establishment of the emirate in 1921, Jordan has attached great importance to archaeology, establishing a Department of Antiquities that remained under the control of the Mandate until the Arabization of the army in 1956. Also, in the same year in which the University of Jordan was established (1962), a Department of History and Archeology was established, and the university sent students abroad to study ancient history. Some other Jordanian universities did likewise. Unfortunately, recent years have seen a decline in research and teaching about the Bronze and Iron Ages; a number of faculty members in this field have retired, and universities have either refrained from sending students abroad or have stopped hiring new faculty members. In addition, the sub-sciences related to archaeology have overshadowed the original, hoping that students will get a job, as a result of graduates in archaeology flooding the market. In order for the matter to be rectified, it is necessary to establish a research center or centers based on scientific research and publishing in the ancient history of Jordan, following a unified approach based on scientific evidence.

Keywords: *Jordan, Ancient History, Bronze Age, Iron Age, Western Explorers, Jordanian Universities*.

*Email: zeidan.kafafi@gmail.com, (Zeidan A. Kafafi) Orcid number: https://orcid.org/0000-0002-4262-4618, Professor Emeritus in Archaeology of Yarmouk University, 11941-Al Jubaiha, P.O.Box 201, Amman –Jordan.

Received on 25/11/2022 and accepted for publication on 27/3/2023.

المصادر والمراجع العربية

إبراهيم، معاوية (2009)؛ *دراسات في آثار فلسطين*، عمان: جامعة فيلادلفيا.

إبراهيم، معاوية (2022)؛ "مئة عام من العمل الأثري في الأردن". *المجلة الأردنية للتاريخ والآثار* (عدد خاص مئوية الدولة)، مج. 16، ع. 3، 185– 221، عمان: الجامعة الأردنية.

أبو طالب، محمود (1978)؛ *آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة، أضواء جديدة (1952–1977)*، عمّان: وزارة الثقافة والشباب.

أبو طالب، محمود (2006)؛ "نظرية نلسون غلوك المراوغة". *من السلط إلى القدس: أبحاث في تاريخ الأردن وفلسطين القديم*، تحريرعمر الغول وعفاف زيادة ، 5–21، عمّان: المقتبس.

الأنصاري، عبد الرحمن وزيدان كفافي (1992)؛ "تأصيل منهج البحث الأثري "نموذج منطقة المشرق العربي". *العصور*، مج السابع، ج الثاني، صص 155– 170، الرياض: جامعة الملك سعود.

الحديدي، عدنان (1977–1978)؛ "الآثار في خدمة السياسة". *حولية دائرة الآثار العامة الأردنية*، مج 22، 6 – 11، عمان: دائرة الآثار العامة.

كفافي، زيدان (2004)؛ المدخل إلى علم الآثار، إربد: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

كفافي، زيدان (2006)؛ *تاريخ الأردن وآثاره في العصور القديمة (العصور البرونزية والحديدية)*، عمّان: المقتبس.

كفافي، زيدان (2011)؛ *بلاد الشام في العصور القديمة. من عصور ما قبل التاريخ حتى الإسكندر المقدوني*، عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

كفافي، زيدان (2019a)؛ "فلسطين في العصر الحديدي الأول (1200 – 1000 ق.م.)". *أدوماتو*، مج 39، 7–28، الرياض: مركز عبدالرحمن السديري الثقافي.

كفافي، زيدان (2021)؛ "الآثار والدين والسياسة". *المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، مج 39، ع 156 ، 11– 38 . الكويت: جامعة الكويت.

كفافي، زيدان (2022)؛ "آثار الأردن في تقارير المستكشفين والرحالة الأجانب (مرحلة ما قبل تأسيس إمارة شرقي الأردن في عام 1921". *المجلة الأردنية للتاريخ والآثار* (عدد خاص مئوية الدولة)، مج. 16، ع. 3، صص 139– 183، عمان: الجامعة الأردنية.

ميريل، سيلاه (Selah, Merrill) (2010)؛ *شرق الأردن. سجل رحلات وملاحظات في بلاد مؤآب وجلعاد وباشان East of the Jordan*)، ترجمة محمد رفيق النجار، مراجعة وتدقيق سمير عزّت نصّار، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع.

خير ياسين، (مترجم). عمّان: الجامعة الأردنية.(*The Moabites*) (1990)؛ ***المؤآبيون***،

ياسين، خير (1994)؛ ***الأدوميون***. *تاريخهم وآثارهم*، عمّان: الجامعة الأردنية.

ياسين، خير (2022)؛ ***العمونيون***، عمّان: وائل للنشر والتوزيع.

REFERENCES

Abū Ṭālib, Maḥmūd (1978); *The Archaeology of Jordan and Palestine in Ancient Times. New Light (1952-1977)*, Amman: Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Shabāb.

Abū Ṭālib, Maḥmūd (2006); "The Distorted Theory of Nelson Glueck", *From Salt to Jerusalem: Studies in the Ancient History of Jordan and Palestine*, 'Umar al-Ghūl and 'Afāf Ziyādah, eds., pp. 5-21, Amman: al-Muqtabas.

Adams, Russell B. (2008); *Jordan: An Archaeological Reader***,** London: eQuinox.

Albright, W. F. (1933); "The Excavation of Tell Beit Mirsim IA: The Bronze Age Pottery of the Fourth Campaign". *The Annual of the American Schools of Oriental Research,* vol. 13 (1931-1932), pp. 55-127.

Albright, W. F. (1938); "The Excavations of Tell Beit Mirsim, Vol. II: The Bronze Age". *The Annual of the American Schools of Oriental Research*, vol. 17 (1936-1937).

Albright, W. F. (1939); "Ceramics and Chronology in the Near East". in Donald Brand and Fred Harvey eds., *So Live the Works of Men. Seventieth Anniversary Volume Honoring Edgar Lee Hewett*, Albuquerque: University of New Mexico Press, pp. 49-63.

Albright, W. F. (1942); *Archaeology and the Religion of Israel*, The Ayer Lectures of the Colgate-Rochester Divinity School, 1941, Baltimore: John Hopkins Press.

Albright, W. F. (1961); *New Horizons in Biblical Research* (Whidden Lectures, 1961), London: Oxford University Press.

Albright, W. F. (1966); *Archaeology, Historical Analogy and Early Biblical Tradition* (Rockwell Lectures, 1962), Baton Rouge: Louisiana University Press.

Albright, William Foxwell (1971); *The Archaeology of Palestine*, Gloucester, Mass.: Peter Smith.

Anastasio, Stefano and Botarelli, Lucia (2015); *The 1927–1938 Italian Archaeological Expedition to Transjordan in Renato Partoccini's Archives*. Oxford: Archaeopress Archaeology.

al-Anṣārī, 'Abd al-Raḥmān and Kafāfī, Zaydān (1992); "Ta'ṣīl Manhaj al-Baḥth al-Athārī "Namūḏaj Manṭiqat al-Mashriq al-'Arabī". *Al-'Uṣūr*, vol. 7, Part 2, pp. 155-170, Riyadh: Jāmi'at al-Malik Sa'ūd.

Bass, G. F. (1986); "A Bronze Age Shipwreck at Ulu Burun (Kaş): 1984 Campaign". *American Journal of Archaeology*, vol. 90, pp. 269-297.

Ben-Shlomo, D., Nodarou, E. and Rutter, J.B. (2011); "Transport Stirrup Jars from the Southern Levant: New Light on Commodity Exchange in the Eastern Mediterranean". *American Journal of Archaeology*, vol. 115, pp. 329-353.

Bienkowski, Piotr (1992); "The Beginning of the Iron Age in Edom: A Reply to Finkelstein". *Levant*, vol. 24, pp. 167-169.

Conder, Claude Reignier and Kitchener, H. H. (1881a); *The Survey of Western Palestine: memoirs of the topography, orography, hydrography, and archaeology*, Vol. 1, London: Palestine Exploration Fund.

Conder, Claude Reignier and H.H. Kitchener (1881b); *The Survey of Western Palestine: memoirs of the topography, orography, hydrography, and archaeology*, Vol. 2, London: Palestine Exploration Fund.

Conder, Claude Reignier and H.H. Kitchener (1881c); *The Survey of Western Palestine: memoirs of the topography, orography, hydrography, and archaeology*. Vol. 3, London: Palestine Exploration Fund.

Conder, Claude Reignier (1885); *Heth and Moab: explorations in Syria in 1881 and 1882*, London: Richard Bentley and Son.

Conder, Claude Reignier (1889); *The Survey of Eastern Palestine. Memories of the Topography, Orography, Hydrography, Archaeology, Etc. vol.1.-The 'Adwân country*, London: Palestine Exploration Fund.

Cross, Frank M. (1973); "W. F. Albright's View of Biblical Archaeology and its Methodology". *The Biblical Archaeologist*, vol. 36, no. 1, pp. 2-5.

al-Dairi, Jihad (2011); *Pottery Decoration from its Beginning in the Neolithic Period to the End of the Early Bronze Age III in Jordan.* Altertumskunde Vorderen Orients. Archäologische Studien zur Kultur und Geschichte des Alten Orients, vol. 14. Münster: Ugarit-Verlag.

Finkelstein, Israel, Lipschits, Oded and Sergi, Omer (2013); "Tell er-Rumeith in Northern Jordan: Some Archaeological and Historical Observations". *Semitica,* vol. 55, pp. 7-23.

Franken, Henk J. (1970); "The Other Side of Jordan". *Annual of the Department of Antiquities of Jordan,* vol. 15, pp. 5-10.

Glueck, Nelson (1934); "Exploration in Eastern Palestine, I". *The Annual of the American Schools of Oriental Research,* vol. 14, pp. 1-113.

Glueck, Nelson (1935); "Explorations in Eastern Palestine, II (1934-1935)". *The Annual of the American Schools of Oriental Research,* vol. 15.

Glueck, Nelson (1939); "Explorations in Eastern Palestine, Volume III (1937-1939)". *The Annual of the American Schools of Oriental Research,* vol. 18-19.

Glueck, Nelson (1951a); "Explorations in Eastern Palestine, vol. IV, part I". *The Annual of the American Schools of Oriental Research,* New Haven- London: American Schools of Oriental Research, vol. 25-28, (1945-49).

Glueck, Nelson (1951b); "Explorations in Eastern Palestine, Vol. IV, Part II: Pottery Notes and Plates". *The Annual of the American Schools of Oriental Research,* New Haven- London: American Schools of Oriental Research, vol. 25-28 (1945-1949).

Glueck, Nelson (1967); "Transjordan". In *Archaeology and the Old Testament*, D. Winton Thomas ed., Oxford: Clarendon, pp. 429-453.

Herr, Larry and Najjar, Muhammad (2000); "The Iron Age". In *The Archaeology of Jordan,* Burton MacDonald, Russell Adams and Piotr Bienkowski eds., pp. 323–345, Sheffield: Sheffield Academic Press.

al-Ḥadīdī, ʻAdnān (1977-1978); "Archaeology in the Service of Politics". *ADAJ,* vol. 22, pp. 6-11.

Ibrahim, Moʻawiyah (1978); "The Collared-rim Jar of the Early Iron Age". *Archaeology in the Levant,* Roger Morrey and Peter Parr, eds., Pp. 116-126, Warminster: Aris & Phillips.

Ibrāhīm, Muʻāwiyah (2009); *Studies in the Archaeology of Palestine*, Amman: Jāmiʻat Filādilfīyah.

Ibrāhīm, Muʻawiyah (2022); "One Hundred Years of Archaeological Work in Jordan". *Jordan Journal for History and Archaeology* (Special Issue) Jordan's Centennial), vol. 16, no. 3, pp. 185-221, Amman: al-Jāmiʻah al-Urdunīyah.

Kafafi, Zeidan (2001); "A Short Comment on the Iron I Pillared-Houses". *Occident and Orient,* vol. 7.2, pp. 14-15.

Kafāfī, Zaydān (2004); *An Introduction to Archaeology,* Irbid: Mu'assat Ḥamādah lil-Dirāsāt al-Jāmiʻīyah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

Kafāfī, Zaydān (2006); *The History and Archaeology of Jordan in Ancient Times (The Bronze and Iron Ages),* Amman: al-Muqtabas.

Kafāfī, Zeidān (2011); *Bilād al-Shām in Ancient Times. From the Pre-Historic Periods until Alexander the Macedonian*, Amman: Dār al-Shurūq lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

Kafafi, Zeidan (2014); "New Insights on the Copper Mines of Wadi Faynan / Jordan". *Palestine Exploration Quarterly,* vol. 146.4, pp. 263-280.

Kafafi, Z. (2017); "North Jordan During the Early Iron Age: An Historical and Archaeological Synthesis. In *Walking Through Jordan. Essays in Honor of Burton MacDonald,* Michael Neeley, Geoffrey Clark, and Michèle Dcaviau, eds., Sheffield: Equinox. Pp. 63-77.

Kafāfī, Zeidān (2019a); "Palestine in the Iron I Period (1200-1000 B. C.)". *Adumatu,* vol. 39, pp. 7-28.

Kafafi, Zeidan (2019b); "Who Owns the Past: Jordanian Archaeological Masterpieces at the International Museums". *Studies in the History and Archaeology of Jordan* 13, pp. 627-640.

Kafafi, Zeidan (2021); "Archaeology, Religion and Politics". *The Arab Journal for the Humanites and Social Sciences* (University of Kuwait), vol. 39, no. 156, pp. 11-38.

Kafafi, Zaydan (2022); "The Antiquities of Jordan in the Reports of Foreign Explorers and Travelers (The Period Before the Establishment of the Emirate of Transjordan in1921". *Jordan Journal for History and Archaeology*, (Special Issue) Jordan's Centennial), vol. 16.3, pp. 139-183.

Kafafi, Zeidan (Forthcoming); "Orient and Occident during the Second Half of the Second Millennium BCE". In *Proceedings of the Humboldt-Kolleg-Cultural Heritage: at the Intersection of the Humanities and the Sciences*.

Kenyon, Kathleen (1967); Jericho. In *Archaeology and Old Testament Study*, D. Winton Thomas, ed., Oxford: Oxford University Press, pp. 264-275.

Kenyon, Kathleen (1971); *Beginning in Archaeology*, Norwich: Jarrold and Sons.

Koeppel, Robert; Senes, H.; Murphy, J. and Mahan, J. (1940); *Teleilat Ghassul II*, Rome: Pontifical Biblical Institute.

Kraeling, Carl (1938); *Gerasa of the Decapolis*, New Haven: American Schools of Oriental Research.

Lambrou-Phillipson, Connie (1990); *Hellenorientalia. The Near Eastern Presence in the Bronze Age Aegean, ca. 3000-1100 B.C. Plus Orientalia: A Catalogue of Egyptian Mesopotamian, Mitannian, Syro-Palestinian, Cypriot and Asia Minor Objects from the Bronze Age Aegean*, Göteborg: Paul Åströms Förlag.

Levy, Thomas; Najjar, Mohammad; Van der Plicht, Johannes; Higham, Thomas and Bruins, Hendrick J. (2005); "Lowland Edom and the High and Low Chronologies: Edomite State Formation, the Bible and Recent Archaeological Research in Southern Jordan". In *The Bible and Radiocarbon Dating. Archaeology, Text and Science*, Thomas Levy and Thomas Higham, eds., London: Equinox, chapter 10, pp. 129-163.

MacDonald, Burton (2000); *East of the Jordan. Territories and Sites of the Hebrew Scriptures*, Boston: The American Schools of Oriental Research.

Mallon, Alexis; Koeppel, Robert, and Neuville, René (1934); *Teleilat Ghassul*, Volume I. Rome: Pontifical Biblical Institute.

Merrill, Selah (2010); *East of the Jordan: a record of travel and observation in the countries of Moab, Gilead and Basham during the years 1875-1877*. Muḥammad Rafīq al-Najjār trans., Samīr 'Izzat Naṣār, ed., Amman: al-Ahlīyah lil-Nāshr wa-al-Tawzī'.

Najjar, Muḥammad (2015); "Solomonic Phobia or 10th Century BCE Phobia? Response to Zeidan A. Kafafi, 'New Insights on the Copper Mines of Wadi Faynan/Jordan', *PEQ* 146.4 (2014), 263-80", *Palestine Exploration Quarterly* 147.3, pp. 247-253.

Sharer, Robert and Ashmore, Wendy (1979); *Fundamentals of Archaeology*. Menlo Park: Benjamin/Cumming Publishing.

Steiner, Margreet (2020); "The City of David as a Palimpsest". In *Biblical Narratives, Archaeology & Historicity*, Lukasz Niesiolowski-Spano and Emanuel Pfoh, eds. London: T&T Clark, pp. 3-9.

Van Zyl, A. H. (1990); *al-Mu'ābīyūn* [*The Moabites*], Khayr Yāsīn, trans. 'Ammān: al-Jāmi'ah al-Urdunīyah.

Yassine, Khair (1988); *Archaeology of Jordan*, Amman: University of Jordan.

Yāsīn, Khayr (1994); *The Edomites, Their History and Antiquities*, Amman: al-Jāmi'ah al-Urdunīyah.

Yāsīn, Khayr (2022); *The Ammonites*, Amman: Wā'il lil-Nashr wa-al-Tawzī'.